تاريخ علم المشرقيات العربية

اللغة العربية في المملكة الروسية

العرب أرباب السيف

جاء الاسلام والعرب قبائل متخالفة المذاهب ، متباينة الرغائب ، يتقاتلون ويتناحرون . فوحّد القرآن كلمتهم وضمّهم عصبة واحدة فحطّموا بأيديهم معبودات اجدادهم . وزادتهم تعاليمهُ عن علاقة الله مع الانسان وعن الحياة الدنيا والاخرى والمكافأة والمجازاة شجاعةً — على شجاعتهم الطبيعية ، ومروءةً على مروءتهم الفطرية ، فهبُّوا رجلاً واحداً ينشرون الاسلام في امصار الارض غير متهيبين من عظمة القياصرة ، ولا ناكصين أمام جساوة الاكاسرة ، فملكوا في ثمانين سنةً بلداناً عجز عنها الرومان في ثمانمائة سنة اذ اتسع ملكهم من اشبونة الى الهند ، والى ماوراء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سمرقند ، وتوغلوا في الاقطار المجهولة من قارة افريقية حتى بلغوا نيجر والسينيغال شمالاً وغرباً وأبعدوا في قسمها الشرقي ايضاً ونشروا حيثما حلّوا راية العدل تخفق في جوّ الأمن بنسيم الحرية العليل .

العرب أرباب القلم

وقد انعش القرآن بسالتهم الغريزية بما بثهُ فيهم من شدة النزوع الى التأمل والتفكر ووجوب تعلم العلم ، وتفهم الحكم ، فخشعوا لبلاغته وأعظموا روائع احكامه فاستطار في آفاق ملكهم البعيد الارجاء فجرُ العلم والصناعة ، اذ كان لهم في كل فنٍ وحكمةٍ حذاقة وبَراعه ، ولم يمضِ على اسلامهم مئة وخمسون سنةً حتى أدهشوا العالم الى اليوم بتوسعهم في العلوم والفنون توسعهم في الفتوحات وسياسة الامم . وكان خلفاؤهم اشدّ ملوك الارض اهتماماً بنشر العلم وتعميم الأدب كالمنصور (٧٥٤ — ٧٧٥) وهارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩) الذي نُقلت في ايامه كتبٌ كثيرة من اللغات اليونانية والسريانية والفارسية القديمة الى اللغة العربية والمأمون الذي شغفه العلم حبّا حتى عرض على قيصر الروم مالاً وسلماً دائماً ان رضي هذا بالسماح للفيلسوف اليوناني لاون ان يأتي بغداد ويقيم فيها اجلاً مضروباً . ولم يكن للخليفة مطمع من هذا الاستقدام الاّ تلقف الحكمة واكتساب العلم

وكما كانت بغداد مركز العلم والمدنية في آسيا لكثرة مدارسها ومكاتبها ونواديها العلمية كانت قرطبة في اوربا حيث كان العرب وحدهم اهل العلم والادب وارباب الصناعة فانهم أسسوا في اسبانيا الجامعة في قرطبة وعلاوة عليها اربع عشرة كلية ومدارس اعدادية وابتدائية عديدة وخمس مكاتب عمومية منها مكتبة الخلفاء التي كانت تضم ستّ مئة الف سفر . فليس من عالم منصف الاّ يذعن مُقرّاً (بأن اول ظهور التمدن والفنون في اوربا انما كان في اسبانيا حين كان المسلمون مستولين على الاندلس . قال فولتير وكانت ملوك الافرنج جميعاً تستخدم الاطباء من العرب واليهود والتزم البابا يوحنا الثامن ان يدفع للمسلمين في كل سنة خمسة وعشرين الف رطل من الفضة وذلك سنة ٨٧٧ وقد دخلوا ايطاليا ونهبوا كنيسة مار بطرس وفتكوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالجيوش الفرنساوية الذين كانوا ساروا الى رومية لاجارة اهلها تحت راية القائد لوثاريوس . وفي القرن الثاني عشر كان المسلمون مستولين في اسبانيا على احسن البلدان منها بورتغال ومرسية والاندلس وبلنسية وغرناطة وطرطوشة وامتد ملكهم حتى الى وراء جبال قشتالة وسيرقوزة اما دار الخلفاء فكانت في قرطبة وفيها بنوا المسجد العظيم المشهور عقده مرفوعاً على ثلاثمائة وخمسة وستين عموداً وهو من مرمر غريب الصنعة بديع الاتقان ولم يزل معروفاً الى الآن باسم مسك (اي مسجد) مع انه حول كنيسة . اما علم المساحة والفلك والكيمياء والطب فلم يكن الاَّ في قرطبة دون غيرها من سائر البلدان حتى ان صانكو ملك ليون الملقب بالسمين اضطر الى ان يسافر اليها ليأخذ الطب عن رجل كان مشهوراً في عصره فلما استدعى به الملك اجابه مع الرسول قائلاً ان كان للملك حاجة الي فليقدم علي . وقال فولتير في موضع آخر : واول ساعة دقاقة عرفت في فرنسا هي التي اهداها هارون الرشيد الى شرلمان وقال في ابجدية الاوقات: علم الحساب انما اخذ عن العرب في اسبانيا وذلك في سنة ١٠٥٠ ثم شهر في انكلترا في سنة ١٢٥٣ . وقال صاحب معجم الجغرافية : ان البابا سلفستر الثاني وكان يعرف اولاً باسم جربرت سار الى الاندلس واخذ العلم عن العرب وكانت ولادته في سنة ٩٣٠ وانتخب بابا في سنة ٩٩٩ وكان ماهراً في علم المساحة وجرّ الاثقال والفلك وهو الذي بث رقم الحساب العربي في اوربا واول من عمل ساعة ذات رقاص) (راجع كشف المخبا عن فنون اوربا لامام اللغة الشيخ احمد فارس الشدياق صفحة ٢١٧ من طبعة القسطنطينية سنة ١٢٩٩ هجرية)

وقال غنيادرتش في « تاريخ الصناعة » « وكانت ضواحي قرطبة منوّرة على مسافة أميال في حين لم يكن في باريس ضوء واحد عمومي وفي حين كان الانسان يغرق في الوحول في لندره »

ومن اراد استيفاء اخبار مدنية العرب في اسبانيا فعليه (بغابر الاندلس وحاضرها) للعلاّمة الكبير السيد محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي المنشورة في السنة الثانية من مجلة المجمع المذكور

وخلاصة الكلام ان العرب خدموا علم التاريخ والفلسفة والطب والحساب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خصوصاً والطبيعيات والهندسة والفلك خدمة عظيمة والجغرافيا على الاخص اذ كان دأب فاتحيهم رسم الخرائط لكل بلاد افتتحوها وقد وصف جغرافيوهم باسهاب بلاد العرب والشام والفرس وبعض بلاد المغول وروسيا الجنوبية والصين وهندستان ونبغ فيهم علاوة على الجغرافيين العديدين الجوابون والرحالون الذين جابوا امصار الارض ومناكبها ووصفوا طبائعها واخلاق ساكنيها في مجلدات ضخمة طبعها الاوربيون ونقلوها الى لغاتهم ناهيك بالمؤرخين والفلاسفة والاطباء والرياضيين والشعراء والمتكلمين والخطباء وعلماء الطبيعة وما وراء الطبيعة والفلك واللغة ومؤلفي المعاجم الذين وصلت الينا مؤلفات لهم في كل علم من هذه العلوم

وكفانا حجة دامغة على فضل العرب وخدمتهم العظيمة للعلم عدم استغناء المعجم في العلوم عن الكلمات العربية العلمية العديدة التي وضعها العرب كالجبر والكحول والكيمياء والنظير والسمت والسموت والسموم والشرقية فضلاً عن اسماء النجوم الثوابت والسيارة

اللغة العربية في اوربا

بعد ان افتتح العرب صقلية واسبانيا دخلت لغتهم اوربا واصبحت فيها لغة العلم والادب وبرهاننا تأثيرها في اللغة اللاتينية في العصور الوسطى فمنها نقل علماء الغرب بعض فلسفة ارسطو وبها استعانوا على تفهم العلم . ولم تهمد عنايتهم بها بعد ان أخلى العرب اسبانيا الا لتعود في القرن السادس عشر الى أشد ما كانت عليه بتأثير بوستيل في فرنسا (١٥٣٨) وروتشير سبيس في المانيا والباباوين غريغوريوس الخامس (١٦٢٢) واوربانوس (١٦٢٧) اللذين عُنيا بمدرسة تعدُّ المرسلين علَّم فيها اهل اللغة العربية لغتهم وألفوا الكتب لتعليمها . فنبغ عقب هذه النهضة العمومية المحققون الافاضل من الاوربيين البارعين في اللغة العربية مثل « المستر صال الذي ترجم القرآن ومستر لان الذي ترجم حكايات الف ليلة وليلة ومستر برسطون الذي ترجم خمساً وعشرين مقامة من مقامات الحريري » (كشف المخبا صفحة ١٢١) وغيرهم كثيرون (غابر الاندلس وحاضرها)

وقد اشتد اهتمام الاوربيين بتعلم اللغة العربية بعد دخول الفرنسيس الجزائر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتونس والانكليز مصر وغيرها من البلاد الاسلامية

اما مجموعات امهات المخطوطات العربية في قارة اوربا فهي في روميـة وباريس وليدن واكسفورد ولندن وغوطا وفيانا وبرلين وكوبانهاغن ولوندا واوبسالا وبتروغراد (بطرسبرج) وفي بعض هذه المدن مطابع عربية كبيرة اصدرت كتباً جليلة كثيرة

اللغة العربية في المملكة الروسية

ان المعتنين بلغة العرب في المملكة الروسية لأوفر عدداً منهم في غيرهـا من ممالك اوربا عامة فان الدولة التترية الاسلامية التي ملكت في هذه البلاد نحو ثلاثة قرون اي من سنة ١٢٢٤ حين غزاها جنكيز خان الى سنة ١٥٠٢ حين شدّ خان الاتراك في القرم ساعد الروس على ثلّ عرشها وملاشاة ملكها (راجع المجلد الاول من تاريخ روسيا لصولوفياف) وكانت متأدبة بآداب القرآن ومتحلية باخلاق العرب قد أثرت تأثيراً بليغاً في امة الروس حتى انك قلما تصادف فيهم من لا يعرف «السلام عليكم. والله. ووقف. وصندوق. وجامع. ومسجد. وغيرها بل هي كلمات لا تستغني عنها لغتهم. كما انك لا تلتقي مسلماً هنالك الاّ تلا عليك سورة الفاتحة وغيرهـا من سور القرآن الصغيرة وجملة احاديث بل قد تصادف فيهم الحفاظ الذين يروون لك القرآن من الدفة الى الدفة وليس يخاف عليك ان المسلمين في الروسية يعـدون بالملايين وهم لا ينفكون متمسكين بعوائد العرب من آداب ضيافـة وزيارة وكرم اخلاق ووفاء واستقامة وأمانة ونخوة ومروّة

فلما دالت دولة التتر وصار امر البلاد الروسية الى اهلها شعر بطرس الاول وهو الملقب بالاكبر بضرورة تعليم اللغات الشرقية لأولاد امتـه بسبب العلائقات الدولية بينهم وبين اهلها فأرسل من موسكو خمسة من طلاب العلم ليتعلموها. ثم أمرت من بعده كاترينا الثانية سنة ١٧٦٩ بوجوب تعلمها وبأن يعلم اللسان التتري في مدرسة كازان اعداداً للتراجمة. ولما أسست جامعة كازان أفرد فيهـا فرع باللغات الشرقية وعُهد برئاسته الى فرين ثم الى آرْدَمن سنة ١٨١٨ فاقترح هذا على مجلس الاساتذة انشاء صفوف في مدرسة كازان لتعلم اللغتين العربية والفارسية ثم أضيفت اليهما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغات التركية والصينية والمغولية والارمنية . ثم أُنشئ في بتروغراد فرع للغات الشرقية في المدرسة التهذيبيَّة التي ابتدأت سنة ١٨١٦ فاستقدم ناظر معارف ولاية بتروغراد وأوفاروف الشهير صاحب «Projet d'une Académie Asiatique» (مشروع انشاء جامعة اسيوية) (باريس ١٨١٠) تلميذَي سلفستر دي ساسي ديمانجي وشارموا من باريس وكلفهما الاهتمام بهذا الفرع . ولما انشئت المدرسة التهذيبية العليا سنة ١٨١٩ أُنشئت ايضاً شعبة للآداب الشرقية في فرع الجامعة اللغوي التاريخي فتولى ادارتها سينوفسكي الى سنة ١٨٤٨ وعلم فيها اللغتين العربية والتركية .

اما العناية القصوى باللغات الشرقية في البلاد الروسية فبدأت سنة ١٨٥٤ بفضل اهتمام موسين بوشكين ناظر معارف ولاية بتروغراد فانه اهتم جد الاهتمام بتوسيع نطاق تعليمها حتى خصص لها قسم في جامعة بتروغراد تألف من فروع لتعليم اللغات العربية والفارسية والتركية التترية والمغولية الكالمتسكية والصينية والعبرانية والارمنية والكرجية والمنشورية وكان استاذ اللغة العربية فيه الشيخ محمد عياض الطنطاوي . وتعزز هذا القسم سنة ١٨٦٣ بانشاء شعبة لتدريس تاريخ الشرق فتولى امرها الاستاذ غريغوريف وباستقدام اربعة عشر معلماً من اهل آسيا لمعاونة اساتذة هذه اللغات (راجع لائحة المخطوطات الفارسية والتركية التترية والعربية التي في جامعة بتروغراد للاستاذين روزن وزالمان) (بتروغراد ١٨٨٨)

وبجانب جامعة بتروغراد القائمة بنايتها في متسع من الارض كبير بناية المتحف الآسيوي وفيها تحفظ الكتب المطبوعة بلغات اهل آسيا . ففي القسم الرابع من هذا المتحف تحفظ الكتب العربية والفارسية والتركية التترية . اما قسم مخطوطاته الاول فانما هو قسم المخطوطات الاسلامية اي العربية والفارسية والتركية التترية والافغانستانية وغيرها . وقسمها الثاني هو المخطوطات العبرانية والسريانية والقبطية .

وابواب هذا المتحف مفتحة للمطالعين كل يوم من الساعة العاشرة الى الثانية عشرة نهاراً ما عدا الاعياد . وكنت انا اتردد اليه فأُطالع الكتب والمخطوطات العربية التي عرفت في جملتها عدداً وفيراً مصدره بلادنا الشامية . اما انشاؤه فكان باهتمام الاستاذ فرين رئيس الجامعة اوفاروف في اليوم الحادي عشر من شهر تشرين الثاني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

سنة ١٨١٨ وفيه تحفظ مجموعة المخطوطات العربية التي اشتريت من مكتبة روسو ومكاتب شميدوفرين وبروسه وشيفرين (راجع دائرة المعارف الروسية لبروكهوزين وآفرون)

وفي مكتبة الجامعة والمكتبة العمومية في بتروغراد التي يزيد عدد اسفارها على الثلاثة ملايين كتاب ومخطوطات عربية كثيرة رأيت في جملتها نسخة القرآن مكتوبة بالخط الكوفي وموضوعة في بيت من الزجاج في قسم المكتبة العمومية الشرقي ويقال انها نسخة الخليفة عثمان وان لطخة الدم التي عليها هي من دمه والله اعلم . وقد طلب المسلمون نقلها بعد شبوب نار الفتنة فأجابتهم اليه حكومة كيرينسكي وهي الحكومة الموقتة فنقلت باحتفال لائق الى مدينة اوفا مركز الفتوى الاسلامية في بلاد الشمال .

ولا تزال حكومة الصماليك (البولشفيك) محافظة على نظام تعليم اللغات الشرقية بل ربما زادت عنايةً بها طمعاً في ان تتخذها اسباباً لبث دعوتها في اهلها ومصداقاً لهذا اذكر لك انني تعرفت في موسكو الى بعض شبان الهنود المسلمين الذين يدرسون فيها اللغة العربية وغيرها على حساب الحكومة الروسية بل ان النساء يتعلمنها الآن في بتروغراد وموسكو

دير النبي الياس شويا الارثوذكسي في لبنان ارشديا كون البطريركية الانطاكية

نوما ديب المعلوف